المراحل التعليمية ومناهج الدراسة في الاندلس
(المرحلة العليا)

المدرس المساعد : اكرم محي عاكول
akram1977@uomustansiriyah.edu.iq

بعد مرحلة الكُتّاب ؛ اهتم طلبة الأندلس بتوسيع مداركهم العلمية والفكرية، وبالاستزادة من العلوم، فقصدوا معليمهم، وتُرك للطالب حرية اختيار المعلم الذي يريد، والذي يعتقد أنه ينتفع به أكثر من غيره، وكان يأخذ العلم على يد عدد من المعلمين في أماكن مختلفة ، ومن الأماكن التي توجه إليها الطلبة؛ المسجد الجامع الذي عد أهم مدرسة إسلامية، والحقيقة أن المسجد قد لعب دوراً أكبر بكثير جداً من كونه مجرد بناء لأداء الفروض الدينية فهو علاوة على ذلك مركز للتعلم، ومقر للقضاء، وموطن بيت المال، ومكان لاجتماع الجيش .

ومن أول المساجد التي بناها المسلمون في الأندلس؛ مسجد الرايات الذي أسسه موسى بن نصير في الجزيرة الخضراء سنة (93 هـ/ 711 م) وهو مسجد قريب من البحر، وسمي بالرايات نسبة للرايات التي رفعها طارق بن زياد ، وأما مسجد قرطبة الجامع فيعد من أهم المساجد في بلاد الأندلس، وكان المسلمون قد بنوه أول أمرهم ملاصقاً لكنيسة سنت بثنت، حيث بنوا في شطرهم مسجداً وبقي الشطر الآخر للنصارى، وحينما ازدحمت المدينة بالمسلمين وجيوشهم؛ اشترى عبد الرحمن الداخل الشطر الآخر من النصارى مقابل أن يعيد بناء ما تم هدمه من كنائسهم وقت الغزو، ثم أمر الداخل بإعادة بناء مسجد قرطبة سنة (168 هـ / 785 م) واستمر أمراء وخلفاء بني أمية من بعده في الاهتمام به حتى صار غاية في الإبداع والإتقان فأصبح لدى الأندلسيين أشبه بكعبة يحجون إليها من جميع مدن الأندلس ويتلقون فيه كل أنواع العلوم، على يد أمهر المؤدبين، الأمر الذي دفع كثيراً من المؤرخين إلى اعتباره جامعة إسلامية، فانتشر علمها في أنحاء عديدة من أوروبا، خاصة وأن المدارس لم تعرف طريقها إلى الأندلس إلا في وقت متأخر.

وكان الإنفاق على المساجد والمحافظة عليها، يتم إما من بيت مال المسلمين مباشرة أو من الأحباس الموقوفة على هذه المساجد، أضف إلى هذا أن كثيراً من الأهالي كانوا يحبسون جزءاً من أراضيهم وبيوتهم أو بعض موارد دخلهم على المساجد مثلما فعل عبد الملك بن حبيب السلمي، الذي كان له أرض وزيتون بقرية من ضمن حدود مدينة ألبيرة، وكان بها مسجد يتم الأنفاق عليه من الأحباس، أما عن المساجد الخاصة فقد تولى أصحابها الأنفاق عليها

وقد ظهرت حلقات العلم في مسجد قرطبة منذ بنائه، ومن العلماء الذين تصدروا حلقات العلم بين أروقته الغازي بن قيس وجودي النحوي (ت : 198 هـ / 813 م) وعبد الله بن الغازي بن قيس (ت : 230 هـ / 844 م) وغيرهم الكثير من علماء اللغة العربية، ومن ثم جاء بعدهم عثمان بن مثنى، وجابر بن غيث (ت : 299 هـ / 911 م) وعبد الله بن سوار بن طارق (ت : 275 هـ / 888 م) وغيرهم، فكان المؤدب يجلس ومن حوله الطلاب على حصير في رواق المسجد، ويطلقون على هذه الحلقات اسم "المجلس" وينسبونه إلى اسم العالم، فقيل على سبيل المثال مجلس القالي .

وكانت حلقات العلم في مسجد قرطبة تكبر أو تصغر تبعاً لشهرة العالم وغزارة علمه وأسلوبه في عرض المادة ومقدرته على المناقشة والمناظرة، ونوع المادة التي يحاضر بها، كما كان المسجد يضم أكثر من حلقة في وقت واحد وكل حلقة يتصدرها عالم .